

الصياد وديك الحجل

قصة توفيق زياد

رسوم نبيل تاج



كَانَ اسْمُهُ يَمْشي أَمَامَهُ دَوْماً. كَانَ عَبَّاسٌ أَشْهَرَ صَيَّادٍ في النَّاحِيَةِ. وَعِنْدَما كَانَتْ تُقَامُ مُسَابَقَاتُ ضَرْبِ النَّارِ في سَاحَةِ سُوقِ «الاثْنَيْنِ» كَانَ الآخَرُونَ يَتَسَابَقُونَ عَلَى المَرْكَزِ الثَّاني، أَمَّا المَرْكَزُ الأَوَّلُ فَكَانَ مَحْجُوزاً لِعَبَّاس.

وَعِنْدَما يَأْتي دَوْرُ عَبَّاسٍ، كَانَ الجَميعُ يَتَرَاصُّونَ حَوْلَهُ في حَدْوَةٍ بَشَرِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وَحِينَ يُصَوِّبُ بُنْدُقِيَّتَهُ، يَكْتُمُ الجَميعُ أَنْفَاسَهُم... وَعِنْدَما تُعْلَنُ النَّتيجَةُ كَانَ يَنْفَجِرُ الهُتَافُ، وَمَعَهُ تَنْفَجِرُ فَرْحَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ حَقيقِيَّةٌ. كَانَ الصَّيْدُ مَلْهَاتَهُ الوَحيدَةَ، وَمِنْ بَيْنِ كُلِّ الطُّيُورِ، كَانَ يَرَى أَنَّ الحَجَلَ وَحْدَهُ هُوَ الجَديرُ بِالصَّيد.



وفي يوم مِنَ الأَيَّام ، وَهُوَ عائِدٌ مِنَ الصَّيدِ، التَقَى عبَّاسٌ بِجَارٍ لَهُ كَانَ عَائِداً مِنَ الصَّيد. كَانَ عَدَدُ طُيُورِ الحَجَلِ الَّتي صادَهَا جارُهُ، أَكْثَرَ مِنْ ضِعْفِ ما صَادَ هُوَ. وبِالطَّبْعِ فَرِحَ لِجَارِهِ وهَنَّأَهُ.

وَالحَقُّ يُقَالُ إِنَّ الأَمرَ أَثارَ دَهْشَتَهُ، ذَلِكَ لأَنَّ جارَهُ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ صَيَّادٍ عَادِي.

فَقَرَّرَ أَنْ يَزُورَ جارَهُ وَيَسْأَلَهُ عَنْ سِرِّ ذَلِك.



وبالفعلِ حملَ معهُ سلّةً منَ الحلْوى، هديّةً لجارِهِ، وراح يزورُه. استقبلَهُ الجارُ بتحفُّظٍ وارتباكٍ ظاهرين. وبعدَ السّلامِ، دارَ بينهما الحوارُ التّالي:

- منْ هوَ أشهرُ وأمهرُ صيّادٍ في النّاحيةِ؟ سألَ عبّاسٌ جارَه.

- أنتَ ولا شكَّ. أجابهُ جارُهُ بلا تردُّد.

- إذنْ قلْ لي: كيفَ تعودُ منَ الصّيدِ بعددٍ منَ الحجالِ أكبرَ منَ الّذي أعودُ بهِ أنا؟

وضحِكَ الجارُ ضِحكةً خافِتةً تُشْبِهُ فَحيحَ الأفْعى وقالَ:

- أتُريدُ أنْ تعْرِف؟

- نعَم... إنّني فرِحٌ جدًّا لكَ، ولكنَّ الأمْرَ غيرُ مفهُوم.

- حسَناً. تعالَ معي غداً للصّيدِ وستعْرِفُ السِّرّ.

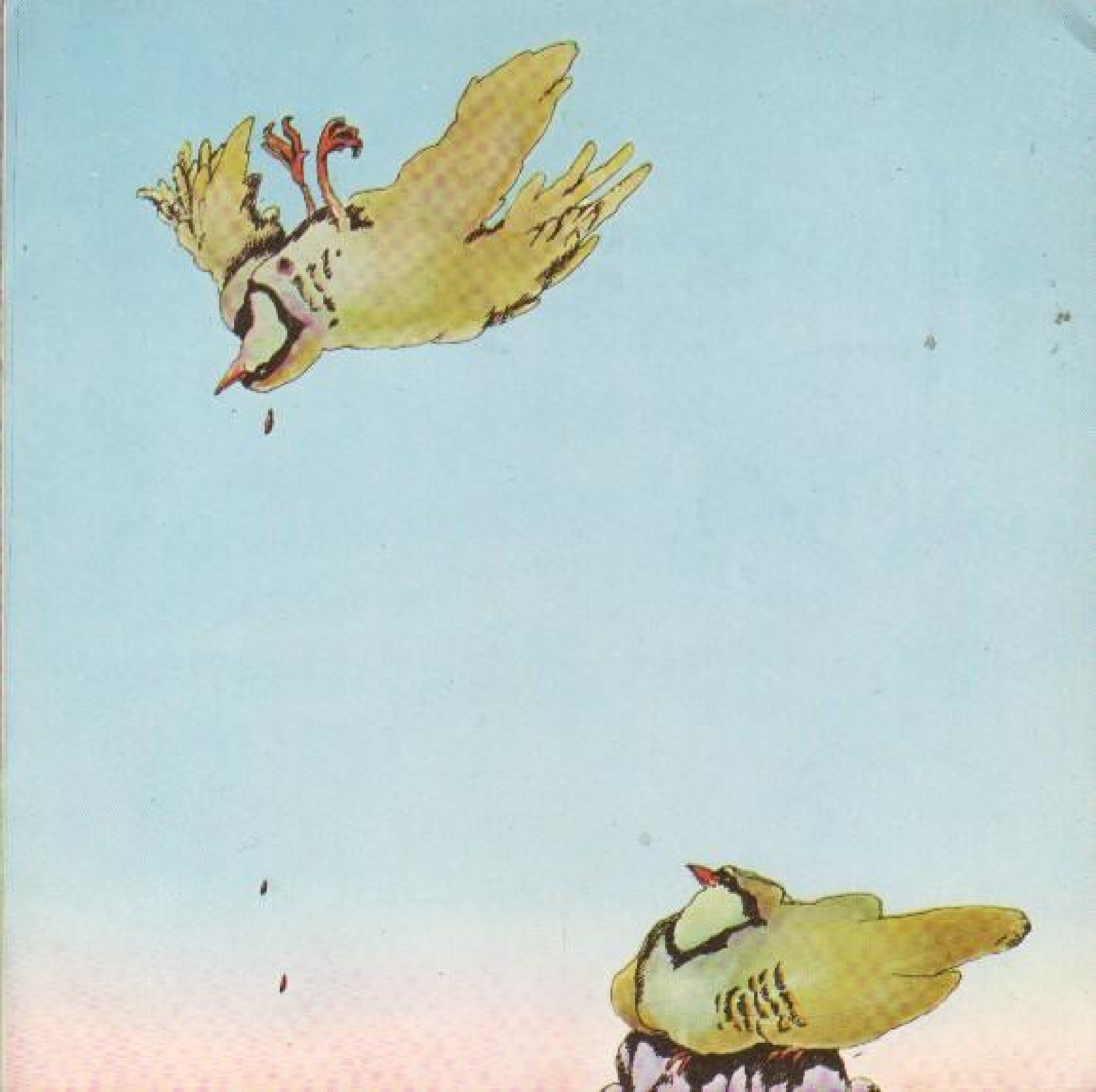


وفي صَباحِ اليَوْمِ التَّالي خرَجا معاً للصَّيدِ، وَعنْدما وَصَلا إلى النَّاحِيَةِ الَّتي قصدَاهَا، تنَاوَلَ الجارُ مِخْلاةً كَانَ يُعلِّقُهَا عَلى كتِفهِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا دِيكاً حيًّا مِنَ الحجَلِ.

أَمَّا عبَّاسٌ فَقَدْ رَاحَ يَنْظُرُ، دُونَ أَنْ يَفْهَمَ شَيْئاً، إلى دِيكِ الحَجَلِ... وَقَالَ لِجارِهِ:

- وَلَكِنْ لِمَاذا أَحْضَرْتَ ديكَ الحَجَلِ هذا مَعَك؟
- انْتَظِرْ وَسَتَفْهَمَ. أَجَابَ جارُهُ، ثُمَّ أَخَذَ يهُزُّ الدِّيكَ الَّذي رَاحَ يَخْفِقُ بِجَناحَيْهِ وَيُصَوِّتُ.... كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِصُعُوبَةٍ لِشِدَّةِ سِمَنِهِ.





بَعْدَ لَحظاتٍ بَدَأَتْ تُسْمَعُ أَصْواتُ طُيُورِ الحَجَلِ مِنْ عِدَّةِ نَوَاحٍ ... ثُمَّ أَخَذَتْ تَقْتَرِبُ مِنَ الصَّيَّادَيْن.

– هيَّا، قَالَ الصَّيَّادُ الآخَرُ لِعَبَّاس، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ بُنْدُقِيَّتَهُ وَيُصَوِّبُهَا إلى أَحَدِ الطُّيُورِ الَّتِي أَصبحَتْ قَرِيبَةً جدًّا، وَيَضْغَطُ الزِّنادَ، ومعَ صَوْتِ الرَّصَاصَةِ سَقَطَتْ حَجَلَةٌ مُضَرَّجَةً بِدَمِها. وَأَمَّا عَبَّاسٌ فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً!

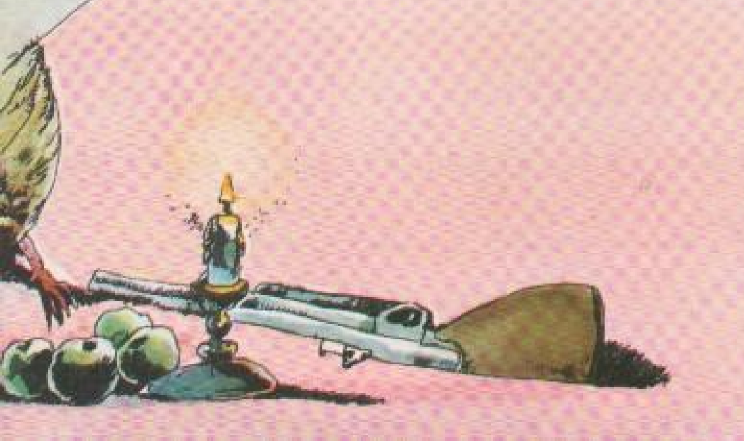
وَضَعَ الصَّيَّادُ الآخَرُ الحَجَلَةَ القَتِيلَةَ في مِخْلاَتِه، ثُمَّ وَضَعَ ديكَهُ على كَفِّهِ وَرَاحَ يَهزُّهُ وهُوَ يُصَوِّتُ وَيَخْفِقُ بِجَناحَيْه.

وَتَكَرَّرَ المَشْهَدُ، وَسَقَطَتْ حَجَلَةٌ ثانِيَةٌ مُضَرَّجَةً بِدَمِها ...

وَلَمْ يَفْعَلْ عَبَّاسُ شَيْئاً، كَانَ لا يَزَالُ يَنْظُرُ إلى ديكِ الحَجَلِ الأليفِ السَّمينِ، وَشعُورٌ يَتَمَلَّكُه.

- الآنَ، يا عَبَّاسُ، هَلْ عَرَفْتَ لِمَاذا أَعُودُ أَنا بِصَيدٍ أَوْفر؟ قَالَ الصَّيَّادُ الآخَرُ، ثُمَّ أَشارَ إلى ديكِهِ الأَليفِ وتابَعَ:

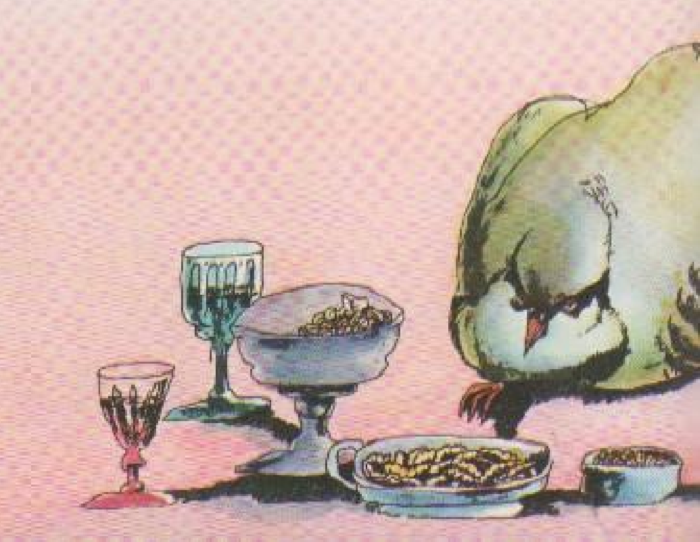
- لَمْ أُمْسِكْ بِهِ فَرْخاً. مَرَّةً كُنْتُ في الصَّيدِ، وأَطْلَقْتُ النَّارَ عليْهِ فَسَقَطَ. لَمْ يَكُنْ قَدْ أُصِيبَ بِرَصَاصَتِي... يَظْهَرُ أَنَّهُ سَقَطَ مِنَ الخَوْفِ. أَخَذْتُهُ وَوَفَّرْتُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ، لأَنِّي تَوَسَّمْتُ فيهِ خَيْراً...



لَقَدْ عَلَفْتُهُ كَثِيراً جِدّاً حَتّى أَصْبَحَ عَاجِزاً عَنِ الطَّيَرانِ. وَعِنْدَما أَذْهَبُ إِلى الصَّيْدِ آخُذُهُ مَعي فَلا أَحْتَاجُ إِلَى البَحْثِ عَنِ الحَجَلِ... فَهُوَ يَسْتَدْعِيهِ! وَعَلَى صَوْتِهِ يَبْدَأُ الحَجَلُ بِالاقْتِرابِ... هَلْ فَهِمْتَ؟

– نَعَمْ.. فَهِمْتُ، وَلَكِنْ هَذِهِ طَرِيقَةٌ غَيْرُ شَرِيفَةٍ. قَالَ عَبّاس.

– وَمَاذا يَهُمُّ؟ المُهِمُّ أَنْ أَعُودَ بِصَيْدٍ وَافِرٍ. قَالَ جارُهُ. إِنَّهَا طَرِيقَةٌ لا تَخِيبُ.. هِهْ؟



وَراحَ عَبّاسٌ يُنقِّلُ نظرَهُ مِنْ جارِهِ إلى الدِّيكِ الَّذي كانَ يَبْتَسِمُ ابْتِسامَةً بَلْهاء...

وَبِحَرَكَةٍ لا شُعُورِيَّةٍ، أَدارَ ماسُورَةَ البُنْدُقِيَّةِ نَحْوَ الدِّيكِ، وَضَغَطَ عَلَى الزِّنادِ ضَغْطَةً شَحَنَها بِاشْمِئزازٍ كَبِيرٍ، وَانْطَلَقَتْ رَصاصَةٌ، وعَبّاسٌ ما زالَ يُتَمْتِمُ:

– هَذا جاسُوسٌ يَجْنِي عَلَى بَنِي جِنْسِه...

وَلَمْ يَبْدُ عَلَى ديكِ الحَجَل السَّمينِ، أَيُّ أَلَمٍ وَهُوَ يَسْقُطُ مُضَرَّجاً بِدَمِه. كانَ يَموتُ بِهُدُوءٍ، وَهوَ ما زالَ يَبْتَسِمُ نَفْسَ ابْتِسامَتِهِ البَلْهاءِ وَكَأَنَّهُ يَسْتَجْدِي.



تضم هذه السلسلة مجموعة حكايات معبرة، أبطالها من الطيور والحيوانات والأطفال، مكتوبة بأسلوب مشوق ومزدانة بلوحات فنية تساعد على توضيح أحداثها.

صدر من هذه السلسلة :

١ - الشجرة
٢ - الفيل يجد عملا
٣ - بديع الزمان
٤ - القفص الذهبي
٥ - الحمامة البيضاء
٦ - جزيرة الضياع
٧ - عودة الطائر
٨ - السلحفاة الحكيمة
٩ - ندم حصان
١٠ - بيت للورقة البيضاء
١١ - وحيد القرن والعصافير
١٢ - الفيل في الصحراء
١٣ - نرجس
١٤ - الريش الجميل
١٥ - الطفل والمطر
١٦ - القط الكسلان
١٧ - الشراع الأبيض
١٨ - الجراد في المدينة

الطبعة الأولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٧٧
الطبعة الثالثة ١٩٨٢

١٩ - صيام الثعلب
٢٠ - الفأر والجبل
٢١ - الفلاح والتنين
٢٢ - الصياد وديك الحجل
٢٣ - القمر والصغار
٢٤ - ضجر السلطان

الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٨٢

٢٥ - الغضب
٢٦ - غزال محب للأسئلة
٢٧ - جواد الأرض الخضراء
٢٨ - البلبل الصغير الشريد
٢٩ - حصان العم رضوان
٣٠ - رحلة الدجاجة الذكية

الطبعة الأولى ١٩٨٠
الطبعة الثانية ١٩٨٢

٣١ - الفأس
٣٢ - السلطان والقمر
٣٣ - مدينة الألوان
٣٤ - عصفور الجنة

الطبعة الأولى ١٩٨١

٣٥ - أمنيات ليالي جميلة
٣٦ - في المدرسة
٣٧ - القطة الصغيرة
٣٨ - الأرنب الشارد
٣٩ - حسن والغول
٤٠ - يا ليل يا عين

الطبعة الأولى ١٩٨٢

طباعة : مؤسسة دار الريحاني - هاتف ٨١١٩٨٨ - ص.ب ٥٣٢٨ / ٠٣



كورنيش المزرعة بناية الترك ص.ب ١٤/٥٩٣٦ بيروت - لبنان